في كل ليلة حكاية

٢

أول الشهداء العشرة المبشرين بالجنة

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

إنَّهُ جَوٌّ رَائعٌ وجَميلٌ.. وَلقدْ كِدْنَا أن نَنْسى جَوَّ بَلدنَا الحَبِيبِ.. فهناكَ تَكونُ دَرَجَاتُ الحَرارَةِ عَـاليـةً جِـداً.. والـوضـعُ لا يُطـاقُ.. فـالسيَّـارةُ والسُّوقُ والبيتُ والمَسجدُ و... كلّ شيءٍ فيهِ أَجهِزةُ التَّكييفِ.. حتَّى تُصبِحَ دَرَجَةُ الحَرارةِ مَقبُولةً إلى حَدٍّ ما..!!

أمَّا هُنا ـ تَابعَ الطَّبيبُ أَنورُ ـ فالجَوُّ مُعتَدِلٌ.. وَفي اللَّيلِ تَنخَفِضُ الحَرارةُ إلى حَدٍّ عَجيبٍ.. وكَأنَّنا في فَصلِ الشِّتاءِ!!

قالَ ابنُ خَالتهِ (سَعيد): أَجلْ يا دكْتُور.. فنحنُ في منطقةِ الزَّبدانِيِّ ، حيثُ المِيَاهُ الجَبَليَّةُ.. والأَشجَارُ الكَثِيفةُ.. والثُّلوجُ والأَمطارُ.. والهَواءُ العَليلُ.. إنَّها قطعةٌ من غُوطةِ دِمَشقَ...

وهَكذَا بعد أن تَنَاولَ الجميعُ طَعامَ الغَداءِ.. وَمن ثمَّ شَرِبوا قَليلاً من شَرابِ الكَرزِ الطَّبيعيِّ..

والذي صَنعتْهُ (أُمُّ سَعيدٍ) بِيَديهَا.. ومن مَزْرَعتِهَا..

اقترَحَ (أَحمدُ) أن يَخرجُوا إلى قُربِ نَبعِ نَهرِ بَرَدَى ليَستَمتِعُوا بتلكُم المَناظرِ الخَلاَّبةِ..

وَبِالفعلِ ، حَملَ كُلٌّ منهُم مَا يستطيعُ من أَغراضٍ ، وانطلقُوا مُشَاةً باتِّجاهِ النَّبعِ.

وَفي الطَّريقِ الجَبليِّ رَاحتْ (سَمِيرَةُ) تتحدَّثُ مع ابنةِ خَالتها (أَسماء) عن المَدارسِ.. والعُطلةِ الصَّيفيَّةِ وعن الذِّكرياتِ الجَميلةِ...

بينمَا كَانتْ (سعادُ) تَسيرُ مع ابنةِ خَالتِها (ابتهَال) وَهُما يَتمايلانِ على بَعضِهما البَعض ، ويتَمازحَان و..

أمَّا (سعيدٌ وسَامي) فَكانَا بِرفقَةِ (أَنور وَأَحمد) وَأبيهمَا...

وَكانَ في آخرِ الرَّكبِ (أُمّ أَحمد) وَأختُها (أُمّ سَعيد) وَهُما تعيدانِ شَريطَ الذِّكرياتِ الجَمِيلةِ...

وَبعدَ الاستِرَاحَةِ القَصيرةِ إلى جِوارِ نَبعِ بَردَى.. وَتناوُلِ قَليلٍ من الفَواكِهِ... و.. راحتَ (أُمُّ سَعيد) تعدُّ طعامَ العَشاءِ مع أختِهَا (أُمّ أَحمد)...

وعندَ غيابِ الشَّمسِ بَدأتْ (أُمَّ أَحمد) تَحكِي لَهم حكايةَ اللَّيلَةِ:

عُمَرُ.. في ظُلماتِ الجَاهِليّةِ!!

كَانَ رَجُلاً قَويّاً لا يهابُ أَحداً.. يُصارِعُ الأَبطالَ

ويبارزُ الفُرسَانَ.. وكانَ قاسياً شَديداً يَهابهُ الأَقوِياءُ..

وَذاتَ لَيلةٍ اصطحبَ ابنَتهُ إلى خَارجِ مكَّةَ.. وَحفرَ لها حُفرةً.. والبنتُ البرِيئةُ لا تَدرِي ما يَفعلُ والدُها.. فَتأخذُ قَليلاً من تُرابِ الحُفرَةِ وتلقيهِ على وَجهِ وَالدِهَا.. حتَّى إذا ما تمَّتِ الحُفرةُ ، حَمَلها والدُهَا وهَوى بهَا.. ثُمَّ راحَ يردُّ التُّرابَ والحِجَارةَ فوقَها!!!

قَالتْ (سُعاد): يا ويحَ أَهل الجَاهليَّةِ.. ماذا كَانُوا يَفعَلون؟ أَليستِ الفَتاةُ بَشَراً؟ أَليستْ رُوحاً ؟ ما هُوَ الذَّنبُ الذي ارتَكبَتْهُ؟!

وَتَقرأُ (ابتهالٌ) قولَه تَعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩].

تَابعتْ (أُمُّ أَحمد) قَولَها:

وَهكذَا شَرِبَ عُمرَ الخَمرَ كَما شَرِبهُ أَهلُ

الجَاهليَّةِ.. وغرقَ في مَسألةِ عِبَادةِ الأَوثانِ والأصنامِ...

وَذاتَ يومٍ تَرامَى إلى أَسماعِ عُمرَ أَنَّ (محمَّداً ابنَ عَبدِ الله) يَدَّعي أنَّه نَبيٌّ رَسولٌ ويَسبُّ الآلهةَ التي يَعبدُها المُشرِكونَ.. فَأقسمَ عُمرُ ليقتلنَّ مُحمّداً !!

لكِن بالمُقابلِ كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ وهوَ الرَّحمةُ للعالمينَ.. كانَ يَدعو اللهَ تَعالى: «اللَّهمَّ انصُرِ الإسلامَ بأَحَد العُمرَينِ»!!

وَحملَ عُمرُ سيفَهُ.. وانطلَقَ يَهدرُ كَالسَّيلِ المُنحدرِ من مَكانٍ مُرتَفعٍ.

وَفِي الطَّريقِ التقاهُ أَحدُ أَصْدِقائِهِ.. فَسَألهُ: إلى أينَ يا عُمَرُ؟

أَجَابَ بِلهْجةٍ قَاسيةٍ تَنمُّ عنِ القوَّةِ والبَطشِ: أُريدُ محمَّداً لأقتلهُ!

فَقالَ الرَّجلُ: بَدلَ أن تَذهبَ إلى محمَّدٍ.. اذهبْ إلى أُختِكَ فَاطِمةَ وزوجِها فقدْ أسلمَا بمَا جَاءَ بهِ محمَّد!!

وارتَفعَ صوتُ عُمَر: مَاذا تَقُولُ يا هَذا؟

قَالَ: مثلَما سَمِعتَ.

وانطلقَ عُمرُ باتِّجاهِ بيتِ أُختِهِ... ولمَّا اقتَربَ سَمِعَ صَوتَ من يَقْرأُ أَمْراً لمْ يسمعْ بهِ من قَبْلُ.. ولمَّا دخَل قالَ: ماذا كُنتم تَقْرؤونَ؟

فَردَّت عليهِ فَاطِمةُ.. فَضَرَبهَا ضَربةً أَوقعهَا أَرضاً.. لكنْ لمَّا رَأى الدَّمَ على وجهِهَا رَقَّ فُؤادُهُ وَقالَ: لَكُم الأَمَان أَعطُوني الصَّحيفةَ.

وأُعطِيَ عُمرُ صَحِيفَةً كانُوا قدْ كَتَبوا عَليهَا: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١ ـ ٢].

وَراحَ عُمرُ يَقرأُ... ورَاحَتِ الدُّموعُ تَتَسلَّلُ من

عَينيهِ.. لتنحدرَ على خَدَّيهِ.. وَتساءَلَ في نَفْسِهِ: أَهَذَا كَلامُ بَشَر؟!

ولمَّا وَصلَ إلى قَولِه تَعالَى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

عِندَئذٍ صَاحَ عُمَر: دُلّوني عَلى مُحمَّد.. أُرِيدُ أَن أُعلنَ الإِسْلاَمَ!!

مَسِيرةٌ رَائِعةٌ

أَجلْ!

وانقَلبَ الفَاروقُ عُمَرُ رَأساً على عَقبٍ.. ، فَأصبحَ رَحِيماً لَطيفاً كَثيرَ البُكاءِ من خَشْيةِ اللهِ.. يتفقَّدُ أحوالَ النَّاسِ.. لِيسَاعدَ الفُقَراءَ والمَسَاكِينَ.. و..

لَقدْ أَصبحَ الرَّجُلَ الثَّاني بعدَ أبي بَكرٍ

الصِّدِّيق رضِيَ الله عنهُمَا.. فَكَان وزيرَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، يُقدِّم لهُ المَشورةَ والنَّصيحَةَ ، ويساعدهُ في أُمورِالسِّلمِ وأُمورِ الحَربِ.

شَاركَ في جَميعِ الغَزَواتِ ، وكَانَ لهُ مَوقفٌ ثَابتٌ ورَهيبٌ ، كَما شاركَ في كلِّ أمورِ الخَيْرِ ، كَبِناءِ المَسجدِ النّبويِّ الشَّريفِ.. وَغير ذلكَ.

وَعندمَا سُمِحَ لِلمسلمينَ بالهِجْرةِ من مكَّةَ المُكرَّمةِ إلى المَدينَةِ المنوَّرةِ ، هاجرَ النَّاسُ سِراً ، لكنَّ الفاروقَ عُمر هَاجرَ جَهراً!!

لَقدْ وَقفَ أمامَ صَناديدِ قُرَيشٍ وَنَادى: يَا معشرَ قُريْش! من أَرادَ أن يثكلَ أُمَّه أَو يَيْتَمَ ولَده ، أَو يُرمّل زَوجتَهُ ، فَليلقَنِي وَراءَ هَذا الوَادِي..

لَكنْ لَمْ يجرؤْ أَحدٌ على ذَلكَ...

لَكِن إلى جَانبِ قُوَّتِهِ المَعهُودَة.. كادَ أن يَسقطَ أَرضاً عندمَا أُخبرَ بِخَبرِ انتقَالِ رَسولِ الله ﷺ إلى الرَّفيقِ الأَعلَى...

وَلعلَّ ذلكَ بسببِ كِبَر المُصابِ.. لذلكَ وَقفَ أَمامَ النَّاسِ وَصاحَ: من قَالَ إنَّ مُحمَّداً قَدْ مَاتَ دَاوَيْته بِهَذا السَّيف!!

وَلكنَّ اللهَ حَكَم في القرآنِ الكَريمِ أنَّ كأسَ المَوتِ لابدَّ أن يَشْربَ منهَا جَميعُ المَخلوقَاتِ:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨].

بَعدَئذٍ استَلَمَ زمامَ الخِلافَة أبو بَكْرٍ الصِّدِّيق.. فَكانَ الفاروقُ عُمر من أوَّل المُناصِرينَ والنَّاصِحينَ...

أَجل! لَقدْ عَملَ الفَاروقُ عُمَر قَاضِياً عَادِلاً.. وعَمِلَ وَزِيراً أوَّلاً في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ... وكَانتْ مَواقفهُ جَرِيئةً وَقويَّةً...

لِذلكَ لمَّا تمدَّد أَبو بَكرٍ على فِراشِ المَوْتِ استشارَ كبارَ الصَّحابةِ في اسْتخِلافِ الفَاروقِ عُمَر.. فلمَّا وافَقُوا على ذلكَ.. أَخذَ البَيْعَةَ عَليهِم...

عَشر سَنواتٍ من العَدلِ العُمَريِّ!!

وَيسيرُ عُمَرُ رضيَ الله عنهُ في رَعيَّتهِ سِيرةَ العَدلِ والقسْطِ ، كيفَ لا؟ وهوَ الذي تَربَّى في المَدرَسةِ النَّبَويَّةِ.

فَعاشَ في خلافَتِهِ عِيشَةَ الفَقْرِ والبَسَاطَةِ ، بَينمَا أَمَّن للنَّاسِ الخيرَ والنّعمَ الكَثِيرةَ ، لذلكَ كَتَبَ اللهُ النَّصرَ على يديهِ ، خَاصَّةً تَحطيمَ أَعظم إمبراطوريَّتينِ آنئذٍ هُما فَارِسُ والرُّومُ...

وتسلَّم مفاتيحَ القُدسِ بِيديهِ ، وسَارَ بالنَّاسِ على نَهجِ النُّبُوةِ...

تُحدِّثُنَا سِيرَتُهُ حِكَايَاتٍ فيها العَجَبُ العُجَاب!

من ذلكَ: أنَّ أحدَ ولاتِهِ في بِلادِ أَذْربيجَان أَرسلَ إليهِ بعضَ أَنواعِ الحلوياتِ التي لا تُصنَعُ إلاَّ في تِلكَ البِلادِ.. وَوَصلَ الرَّسولُ إلى المَدِينةِ لَيلاً ، فقالَ في قَرارةِ نَفسِهِ:

لا أريدُ أن أَذهبَ إلى قَصرِ الخِلافةِ كي لا أُزعجَ الخَليفةَ.. فقدْ يَكونُ نَائماً الآن.. وانطَلقَ إلى المَسجدِ النّبويِّ.. فلمَّا دخلَ المَسجِدَ.. وَباشرَ بِصَلاةِ رَكعتينِ خَفيفتينِ.. سَمِعَ أَنيناً في طَرفِ المَسْجدِ.. ثُمَّ سمعَ صَوتَ نَحيبٍ.. وَفهمَ بَعضَ الكَلماتِ: إلهي وَسيِّدي.. إن أَنا تَركتُ نَفسِي وتابعتُ أَمرَ رَعيَّتي ، هلكتُ في دُنيايَ.. وإن تَابعتُ أَمرَ نَفسِي وتَركتُ أَمرَ النَّاسِ هَلكتُ أَيضاً..

وَفجأةً سمعَ صَاحبَ الصَّوتِ يقولُ: أَنا عُمرُ.. يا ويلَ أُمّ عُمَر.... ليتَ أُمَّ عُمر لمْ تَحمِلْ بِعُمَر ، ليتَها كَانتْ عَقيمَة....!

ويقتربُ الرَّسولُ من صَاحبِ الصَّوتِ.. فَإذا هوَ الخَليفةُ عُمرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ!!

وعندَما أَتته أموالُ كِسْرى وَتَاجه.. وَوُضعتْ بينَ يديهِ.. رَاحَ يُقلِّبها.. ثُمَّ قالَ: إنَّ يَداً أدّتْ هذا لأَمِينة.

فَيُجيبهُ عَليّ بن أبي طَالبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: عَدلتَ.. فأَمنتَ.. فنِمتَ...

وعندَما جَاءهُ وَاحدٌ من أَقباطِ مِصرَ يَشكُو إليهِ أَمرَ ابنِ أميرِ مِصْرَ (عَمْرو بن العَاص).. فَيُرسِل إليهِ الفَاروقُ عُمَر.. ، ولمَّا سمعَ منهُ الخَبر.. قالَ عُمرُ لِلقبطيِّ: اضربْ رأسَ الأَميرِ بِهذَا السَّوطِ.. واضربْ رأسَ ابنِه أَيضاً.. ثُمَّ قالَ: مَتى

استعبدتُم النَّاسَ وقدْ وَلدتهُم أُمَّهاتِهم أَحراراً؟!

وهَكَذا عاشَ النَّاسُ في خِلافتِهِ تَحتَ ظِلالِ العَدلِ والمُساواةِ والحُبِّ، فَأخذَ الفَقيرُ حقَّهُ ووقفَ الغنيُّ عندَ حدِّهِ..

فَرَضيَ اللهُ عن الفَاروقِ عُمَر وأَرضَاهُ..

الشَّهيدُ المُبشَّرُ بالجنَّةِ

تُتَابعُ (أُمُّ أَحمد) الحِكَايةَ الجَمِيلةَ:

وَفي ليلةٍ شَديدةِ السَّوادِ تآمرَ بعضُ النَّاسِ على قَتلِ الفَاروقِ عُمَر! وبينمَا كانَ الفَاروقُ عُمَر يقفُ في مِحرابِ المَسجِدِ النّبويِّ لِيصَلّي بِالنَّاسِ إماماً صَلاةَ الفَجرِ إذا بِشابٍّ يُقالُ له (أبو لُؤلُؤة المَجوسيُّ) يَنقضُّ على الخَليفةِ ويَطعنهُ بخِنجرٍ مَسمُومٍ.. ثُمَّ يضربُ نفسَهُ حتَّى يَموتَ..

وَحُمِلَ الفَاروقُ عُمَر إلى بيتهِ.. ولمَّا تأكَّد أنَّ

المَوتَ قد اقتربَ ، عَهِدَ إلى ستَّةٍ ممَّن بشَّرهُم رَسولُ اللهِ بالجنَّةِ.. وقالَ: هَؤلاءِ أَصلحكُم فَانتَخِبُوا مِنهُم وَاحداً ليكونَ خليفتَكُم مِن بَعدِي ، وَهُم: عُثمان وعَليّ ، وطَلْحَة والزُّبَير ، وَسَعْد وابن عوْف رَضيَ اللهُ عنهُم جَميعاً.

وهَكذَا سَقَطَ عُمَر شَهيداً وَذلكَ في سنَةِ (٢٣ هـ) مُبَشّراً بجنَّة اللهِ.. نَسألُ اللهَ أن يَجعلَنَا من السَّائرينَ على خُطَاهُم... وَما ذَلك عَلى اللهِ بِعَزِيزٍ:

أُولئكَ آبائِي فَجِئْنِي بمِثلهِمْ
إذَا جَمَعَتْنَا يا جَرِيرُ المَجَامِعُ

وَإلى لِقاءٍ آخر مَع: فِي كلِّ ليلةٍ حِكَاية!!

والحَمدُ للهِ رَبِّ العَالمين